المحاضرة الثانية

د. حسناء أقدح د. سراب يازجي

مضمون المحاضرة

فنّ المناظرات: (مناظرة السّيف والقلم) لابن بُرد الأصغر.

فنّ المناظرات

❋ اليوم سنقف على {**فنّ المناظرات**}: والمناظرات فنٌّ كان يهدف الكاتب من ورائه إلى إظهار مقدرته الفنّيّة والأسلوبيّة في الموضوع الذي يكتب فيه.

❋ **والمناظرة**: ✌ **إمّا أن تأتي على شكل رسالة يجري الحوار فيها بين شخصين**، أو بين شيئين أو أكثر حول موضوعٍ معيّن.

✌ **وإمّا أن تأتي أشبه ما تكون بالمقالة الحديثة**؛ تُبنى على التّباهي والتّفاخُر بشيءٍ ما، كرسالة ابن حزم الأندلسي في {**بيان فضل علماء الأندلس**}، عندما اتّهمَ المشارقةُ الأدباءَ الأندلسيّين بالتّقصير في تخليد ذِكْرِ أدبائهم، وشعرائهم، وعلمائهم، لذلك كتبَ ابنُ حزمٍ هذه الرّسالة.

❋ **وفنّ المناظرات ليس جديدًا؛ أي ليس من مستحدثات الأندلسيّين، إنّما وُجد في المشرق أوّلًا**، وأوّل مَن كتب في هذا الفنّ هو: (**الجاحظ**)، فله رسائل كثيرة، أو مناظرات تأتي ضمن رسائله، **ومن رسائل الجاحظ**:

رسالة في مناقب التُّرك.	رسالة في فَخر السّودان على البيضان.	مفاخرة بين الجواري والغلمان.

❋ فتأثّر أدباءُ الأندلس بالمشارقة، ونسجوا على منوالهم بعض المناظرات، واليوم سنقف على إحداها، وهي:

مناظرة السّيف والقلم/ لابن بُرد الأصغر (إملاء الدكتورة)

❋ من أبرز ما تركهُ الأدباء لنا في فنّ المناظرات {**مناظرة السّيف والقلم/ لابن بُرد الأصغر**}، ويُعَدُّ أوّل من سبقَ إلى عَقْدِ مفاخرةٍ بين السّيف والقلم في الأندلس، ووُفّقَ في نقل هذه الظّاهرة من السّياق الشِّعري القديم الذي وردت فيه على ألسنة أعلام الشِّعر العبّاسي الكِبار، كـ(**أبي تمّام، والمتنبّي، وابن الرّومي**) إذْ يقول **أبو تمّام**:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ في حَدِّهِ الحدُّ بينَ الجدِّ واللَّعبِ

فنقلها إلى النّثر الفنّي من خلال رسالةٍ كتبها إلى (**الموفّق أبي الجيش مجاهد العامريّ**)، يعكس فيها واقع حال الكُتّاب في (**عصر ملوك الطّوائف**)، حيث تراجعت منزلة الكاتب، وأصبح الجُنْدُ عمادَ ملوك الطّوائف، وتأخّرت مرتبةُ أصحاب القلم، ممّا جعلَ الأدباء يشعرون بالغيرة، ويدعون إلى التّسوية بين رجال القلم والجُند في دولٍ أصبحت علاقاتها الدّاخليّة والخارجيّة ترتكز على قوّة الجُنْد، وحُسْن الاستعداد للدّفاع عن الدّولة.

أفكار المناظرة

الفكرة الأولى: يُشير الكاتب منذ بداية الرّسالة إلى إيمانه بقيمة كلٍّ من السّيف والقلم، فالعلاقة الوثيقة التي تجمع بينهما تقوم على الالتحام والاتّساق من أنّهما مطيّةٌ إلى المجد والرُّقيّ إلى المراتب العالية، والفخر، والكبرياء، والسُّؤدُد.

⇦ **مثال من المناظرة**: {**كانا مصباحَيْن يَهديان إلى القَصْدِ مَنْ باتَ يَسري إلى المَجْدِ، وسُلَّمَيْنِ يُلحِقانِ بالكواكبِ مَنْ ارتقى لِساميات المراتب**}.

الفكرة الثانية: ويُتابِعُ الكاتب جُملة الصّفات التي يشتركان فيها معًا، إلى أنْ يدخُلا حَلبة المُنافرة، ليُثبتَ كلُّ واحدٍ منهما لنفسه التّقدُّمَ والسَّبْقَ على صاحبه، ويحرصُ ابنُ بُرد على أن يجعل بداية الحوار على لسانِ القلم، ممّا مثَّلَ خروجًا على ما شاعَ لدى مَن قابلوا بين السّيف والقلم قديمًا.

⇦ **مثال١ من المناظرة**: يقول القلمُ مُستعينًا بصفات الإنسان مِن صدقٍ، وقَولِ حقٍّ، وقَسَمٍ، وأنّه أفضلُ مَن فضَّلهُ اللهُ عزَّ وجلَّ في تنزيلهِ، مُقسِمًا به لرسوله: {**خيرُ الأقوالِ الحقُّ، وأحمَدُ السّجايا الصِّدقُ، والأفضلُ مَنْ فضَّلهُ اللهُ عزَّ وجلَّ في تنزيله، مُقسِمًا بهِ لرسولِه، فقال: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾**، وقال: ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ❄ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**﴾، **فجَلَّ من مُقسِم، وعَزَّ من قَسَم، لقد أخذتُ الفضلَ بِرُمَّتِهِ، وقُدْتُ الفخرَ بأزِمَّتِهِ**}.

⇦ **مثال٢**: يردُّ السّيف: {**إنَّ الملوكَ لَتُبادرُ إلى دَرْكي**[1]، **وتتحاسَدُ في مُلْكي، ولَتتوارثني على النَّسَب، ولَتُغالي فيَّ على الحَسَب،... حتّى أبرُز بروز الهنديّ**[2] **يومَ الجلاء**[3]، **والرَّوْض غِبّ السّماء**[4]}.

⇦ **مثال٣**: فقال القلم: {**مَنْ ساءَ سَمْعًا ساءَ إجابةً،... ولَوْلا جلاءُ الصّياقِل صَدَأكَ لأسْرَعْتَ ذهابًا، وعُدْتَ مع التّرابِ تُرابًا**}.

⇦ **مثال٤**: فقال السّيف: {**جَعْجَعةٌ رَحًى لا يتبعها طِحْن**[5]، **وجَلْجَلةُ رَعدٍ لا يليها مُزْن، فهُبَّ من نَومِك، وأَفْطِرْ من صَوْمِك**}.

⇦ **مثال٥**: فقال القلم: {**إنْ كنتَ ريحًا فقد لاقيتَ إعصارًا**}.

الفكرة الثّالثة: ولمّا رأى السّيفُ والقلمُ أنّهما أكثرا من التّعارض، وطالَ الجدال بينهما، جَنَحا إلى السِّلْمِ، وعَقَدا لواءَ المُهادنة، وقالا:

مثال١: {**إنَّ من القبيح أن تتشتّتَ أهواؤنا، وتتفرَّقَ آراؤنا، وقدْ جمَعَنا اللهُ في المَألَفِ الكريم، وأحَلَّنا بمحلٍّ غيرِ ذَميم**}، فهُما في يَد أنبَل الرّجال (**الموفّق أبي الجيش مجاهد العامري**) مولى المعالي.

مثال٢: فطالَبَ القلمُ بإبرامِ عَهدٍ بينه وبين السّيف، مؤكّدًا أنّ الدّهر هو السّبب في تفتيت الشّمْل، فيقول: {**فقدْ يدبُّ الدّهرُ بعقاربِه بين المرءِ وأقاربِه**}، فتولّى تحرير المعاهدة شِعرًا {**لأنّ الشِّعر شَدوُ الحادي**[6]، **وزادُ الرّائحِ والغادي**}.

---

[1] دركي: امتلاكي.

[2] الهندي: السيف المهنّد

[3] يوم الجلاء: أي يوم يجلوهُ الصّيقلي.

[4] والرّوض غبّ السّماء: أي يظهر بأبهى حلّة كالرّوض بعد أن يسقيه المطر.

[5] هذا مَثَل استشهد به، والعجعجة هي الصوت، والطّحن هو الدّقيق، بمعنى: كلام لا طائل منه.

[6] الحادي: هو الذي يغنّي للإبِل كي تجدّ في سيرها.

الفكرة الرابعة:

ثمّ يختم ابنُ بُرد رسالته بقصيدةٍ في مدح (**مجاهد العامري**) يدعوه فيها إلى التّسوية بين الجُنْد والكُتّاب، يقول فيها:

قَــدْ آنَ للسّــيفِ ألّا يَفْضُــلَ القَلَمــا ... مُــذْ سُــخِّرا لِفتًــى حــازَ العُلــى بهمــا

راحــا بِكَــفِّ أبــي الجــيشِ التــي خُلِقَــتْ ... غَمامــةً كــلّ حــينٍ تُمطــرُ النِّعَمــا

لَــوْلا طِلابــي غريــبَ المــدحِ فيــكَ لَمــا ... وصــفتُ قبْــلَ عُــلاكَ السّــيفَ والقَلَمــا

❖ السمات الفنية للمناظرة/ أسلوب المناظرة ❖

❋ هذه المناظرة شكلٌ فنّيٌّ متميّزٌ يعبّر عن التّطوّر الذي طرأ على النّثر الأندلسي بعد القرن الرّابع الهجري[٧].

ومن سِماتها:

① **استخدام الرّمز**: مع أنّ موضوع هذه الرّسالة (**المناظرة**) هو مدح (**مجاهد العامري**) إلّا أنّنا نلمح في ثناياها شكوى مُبطّنة من هذه التّفرقة لم يشأ الكاتب أو لم يستطع التصريح بها، فلجأ إلى الرّمز، فرمَزَ بالسّيف إلى (**رجال الجُنْد**)، وبالقلم إلى (**أرباب الفِكر**).

② **استخدام الحوار**:

أجرى حوارًا بين السّيف والقلم، انتهى فيه إلى الإيحاء بضرورة العدل في المعاملة بين الطّائفتين؛ لأنّ الدّول إنّما تبقى وترقى طالما كان هناك تضافُر بين رجال الجيش وأرباب القلم، ولن يتحقّق ذلك إلّا بالعدل بينهما في الرّعاية والتّقدير.

③ **توليد الأفكار والبراهين**:

❋ كما برزت قُدرة ابنِ بُرد في رسالته على توليد الأفكار والبراهين، وصوغ الكلام، وحَوْكِهِ حياكةً تموج بالعذوبة.

④ **الاستشهاد بالأمثال، والحِكَم، والشِّعر**: وذلك ضمن الحوار والجدل، ليدعم بهم كلامه.

⑤ **الاقتباس من القرآن الكريم**:

فيستشهد بآياته لدعم آرائه، وتقوية حُججه، فهو يبدأ بإيمانه بأهمّيّة القلم والسّيف، وبأنّهما ضروريّان للوصول إلى القمّة والمجد، ثمّ يدخلان حلبة منافرة، فيتحدّث كلّ منهما عن محامده، ومناقبه، فيرى القلم أنّه الأحقّ والأفضل من السّيف لأنّ الله أقسمَ به لرسوله في تنزيله، فيقول: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾، و﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ**

[٧] **فما قبل عصر ملوك الطوائف كان النّثر يختلف عمّا بعده، فقبله كانت كتابات الأدباء تتّسم بالإيجاز، والخلوّ من زخارف اللفظ، ولا نجد تعمّدًا لاستخدام المحسّنات البديعيّة والسّجع، وكذلك كان هناك إيجاز في استخدام التّشبيهات والاستعارات، وما يرد من الاقتباس من القرآن الكريم كان يرد بقِلّة، وكان عفو الخاطر والبديهة.**

الْأَكْرَمُ ❊الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾، فيدعم رأيه بهذا الاقتباس، ولكنْ من دون أن يقول (قال تعالى)، فنجد أنّ هذه الآيات القرآنيّة تأتي في سياق الكلام، ومن نسيجه.

⑥ الإكثار من الاستعارات والتّشبيهات: ❊ التي تمنح المناظرة صفة التّشخيص، فنجد السّيف والقلم يتحدّثان، ويتجادلان، ويعقدان معاهدة، ممّا يبثّ روح الحركة والحياة بينهما.

⑦ استخدام السّجْع: ❊ اعتمد على السّجْع، واختار منه ما يوافق المعنى، فجاء عذبًا، وسَلسًا، وعفوَ البديهة والخاطر من غير تكلّفٍ وإسراف.

❊ المناظرة من حيث المضمون ❊

❊ ندرس المناظرة من حيث المضمون من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

من أيّ عصرٍ كان الأديب؟	**من عصر ملوك الطّوائف.**
إلى من أرسلَ المناظرة؟	**إلى مجاهد العامري.**
لماذا أرسلها؟	**لأنّه يريد التّسوية بين الكُتّاب والجُند.**
ما موضوعها؟	**المدح، فهو يريد أن يمدح (العامري) ليتقرّب إليه، ويحصل على الحُظوة والمنزلة المرموقة عنده، ومعانيها مستوحاة من واقع الحال في ذلك العصر، حيث كان التّمييز فيه للجُند على أهل الفِكْر.**
أفكارها الرّئيسة:	**• بدأها بإيمانه بضرورة الالتحام بين السّيف والقلم للوصول إلى المجد والرُّقي.** **• كلّ من السّيف والقلم يتحدّث عن فضائله، وصفاته، من خلال حلبة المفاخرة.** **• تنتهي المناظرة بالمصالحة بينهما.** **• يختمها بشِعرٍ له، وقد يحلّ البيت الشّعري فيحوّله من بيتٍ شِعري إلى نثر، وهذه الأبيات يمدح فيها العامري، ويعتذر إليه من أنّه بدأ بالسّيف والقلم قبل أن يمدحه، وخرج عن المألوف لأنّه أراد أن يقدّم شيئًا جديدًا.**

ملحوظات

♦ عندما نذكر سِمة الاقتباس من القرآن يجب أن نذكر الآية القرآنيّة مع سياقها ضمن الجُملة، ومَن يذكر الآية الكريمة وحدها كمثال على الاقتباس في المناظرة لا يأخذ العلامة.

♦ نذكر السِّمات مع مثال عليها، والسِّمات الفنّيّة هي نفسها الأسلوب.

♦ الأمثلة الواردة في المحاضرة تُحفظ كما هي دون زيادةٍ أو نقصان.